إدارة بلاد الشام في عهد الخليفة

عمر بن الخطاب « رض »

الدكتور : عبدالواحد ذنون طه

جامعة الموصل – كلية التربية

تمهيد :

تعد دراسة الشؤون الادارية في العصور الاسلامية المختلفة من المواضيع الصعبة بسبب قلة المعلومات المتوفرة عنها في المصادر. وتزداد هذه الصعوبة حينما تختص الدراسة بالبحث عن الفترات الاولى من تاريخ الدولة العربية الاسلامية. ولا يخفى ان معظم مصادرنا المعتمدة تركز على الناحية السياسية، ولا تشير الى القضايا الادارية الا عرضاً. وهذا بطبيعة الحال، لايتيح للباحث ان يحصل على مايريد من معلومات بسهولة، بل عليه ان يكون دقيقاً غاية الدقة في استخلاص مادته من خلال المعلومات المتناثرة في المصادر ؛ والتي لاتأتي عادة ضمن سياق منتظم.

وبالنسبة لهذا البحث نجد ان عددا كبيرا من المصادر تركز على مسألة الفتوح ومعارك التحرير التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في بلاد الشام ، وتولي اهتماماً زائدا

لتحركات هذه الجيوش والانتصارات التي حققتها على البيزنطيين. وهذا امر على غاية من الاهمية لمن يريد دراسة الفتح ،ولكن الامر يختلف بالنسبة لمن يهتم بالمسائل الادارية والاحوال الاجتماعية والاقتصادية. ومع هذا، فلا يمكن اغفال ماتحويه بعض المصادر من معلومات اساسية عن الشؤون الادارية لهذا العهد المبكر ، واخص منها بالذكر : تاريخ خليفة بن خياط، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري ،وتاريخ الرسل والملوك لمحمد ابن جرير الطبري.

ان الطريقة التي اتبعت في كتابة هذا البحث تعتمد بالدرجة الأولى على استخلاص المعلومات الادارية من المصادر الاساسية ،وتحليلها ووضعها ضمن سياق حديث يخدم البحث، مع الاشارة الى بعض الاراء الحديثة للكتاب المحدثين : من اجل الوصول الى صورة قريبة من واقع النظام الاداري الذي كان سائدا في بلاد الشام في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب (رض). ولم يتطرق البحث الى الحديث عن الفتح وكيفية انجازه ، وذلك لكثرة ماكتب عنه ، ولأنه لايدخل في صلب الموضوع الحالي. ولكن كان لابد من الكلام على الادارة العسكرية لبلاد الشام، ودور الخليفة في توجيه الفتح. كما اشار البحث ايضاً الى التقسيمات الادارية لبلاد الشام، والولاة وطريقة اختيارهم وسياسة الخليفة ازاءهم والى استقرار العرب في بلاد الشام، والاسس التي تم بموجبها هذا الاستقرار. كذلك تضمن البحث التنظيمات الادارية والمالية التي اعقبت الفتح ،ووضع اهل البلاد ومدى تعاونهم مع الادارة الجديدة

كان دور الخليفة واضحاً جداً في الادارة العسكرية لبلاد الشام في اثناء الفتح ،فقد كانت المراسلات مستمرة بين القائد ابي عبيدة وبين الخليفة قبل معركة اليرموك وبعدها . فعلى سبيل المثال ، كتب الى الخليفة بشأن الغنائم التي جمعت في الجابية ، فجاء الرد بعدم التصرف فيها الابعد فتح بيت المقدس (١) : وكان ابو عبيدة يستشير الخليفة في معظم المسائل الحربية المهمة ، فحينما علم بتجمع عدد كبير من البيزنطيين في فحل من بلاد الاردن ووصول امدادات معادية من حمص الى دمشق ، تردد هل يبدأ القتال بفحل ام بدمشق ، فكتب الى الخليفة بذلك ، وجاء الرد : « أما بعد فابدؤا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم واشغلوا بخيلكم اهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم واهل فلسطين واهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب ،وان

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ، ١٩٧٤ : ٢ / ١٣٠، ١٣١، ١٣٥ ،

تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها وانطلق أنت ، وسائر الامراء حتى تغيروا على فحل فان فتح الله عليكم فانصرف انت وخالد الى حمص ودع شرحبيل وعمرا واخلهما بالاردن وفلسطين وامير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من امارته » (٢) .

ويدل هذا الجواب بطبيعة الحال على مدى اطلاع الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على اوضاع بلاد الشام السياسية والعسكرية وخبرته الكبيرة في امورها . فقد كانت تقديراته صائبة في معظم الاحوال ، مما ادى الى التعجيل بالنصر للمسلمين . ونجد شواهد اخرى كثيرة على توجيه الخليفة للفتح وارشاداته للقادة بكيفية التحرك والتصرف . وكذلك على توجيه الاوامر للقائد الاعلى بتوجيه قائد معين الى منطقة معينة لمعالجتها وافتتاحها (٣).

ولم تقتصر توجيهات الخليفة لامراء الاجناد على الامور العسكرية البحتة ، بل كانوا يستشيرونه في معظم المسائل ذات الصلة بسلامة ومستقبل المسلمين وأحوالهم في المناطق المفتوحة . فبعد فتح انطاكية كتب الخليفة الى ابي عبيدة ان يرتب بها جماعة من المسلمين ويجعلهم بها مرابطة ، ولا يحبس عنهم العطاء (٤) . واشار الى معاوية بن ابي سفيان باجراءات مماثلة بالنسبة للسواحل (٥) . وكتب اليه ابو عبيدة ايضا يستشيره بشأن جماعة من المسلمين اصابوا الشراب ، فجاء جواب الخليفة : « ان ادعهم فان زعموا انها حلال فاقتلهم وان زعموا انها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة ... » (٦) . وحين سماع الخليفة بانتشار الطاعون في بلاد الشام كتب الى ابي عبيدة يقول : « أما بعد فأنك انزلت الناس ارضا عميقة فارفعهم الى ارض مرتفعة نزهة ... » (٧) فلما جاءه الكتاب سار بالناس حتى نزل الجابية في هضبة الجولان .

---

(٢) الطبري (برواية سيف بن عمر التميمي) ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر :دي غوية ، ليدن ، ١٨٧٩ - ١٩٠١ : ١ / ٢١٥٠ .

(٣) انظر على سبيل المثال : المصدر نفسه :١ / ٢٣٩٣، ٢٣٩٧ - ٢٣٩٨، البلاذري فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٩ : ٢ / ٤٩٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ٤٩٥ .

(٥) فتوح البلدان ، ص ١٣٤ .

(٦) الطبري (برواية سيف) : ١ / ٢٥٧١، انظر: الواقدي، كتاب فتوح الشام، نشر وليم ناسوليس ، كلكتا ، ١٨٥٤ : ٢ / ٢٨ .

(٧) الطبري (برواية محمد بن اسحق): ١ / ٢٥١٨،ابن الاثير: ٢ / ٥٥٨ - ٥٥٩.

وهكذا كانت المراسلات لاتنقطع بين بلاد الشام ومركز الدولة العربية في المدينة المنورة ، وكان التعاون التام يسود بين القادة والخليفة . ولم يكن القادة معزولين عما يحدث في المدينة ، فحينما حلت بالحجاز ضائقة اقتصادية عام ١٨هـ / ٦٣٩ م كتب الخليفة الى امراء الامصار للمساعدة ، فكان اول من قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح في اربعمئة راحلة من الطعام ، فقسمها بنفسه فيمن حول المدينة ، ثم رجع بعد ذلك الى الشام (٨) .

وعلى الرغم من المركزية التي تلاحظ على ادارة الخليفة عمر وتعامله مع قادته (٩)، يمكن للباحث ان يميز نوعا من حرية التصرف بالنسبة لامراء الاجناد ، لاسيما فيما يخص العمل على انجاز الفتح وتوجيه قادة الجند الى مناطق بلاد الشام المختلفة ، فبعد افتتاح دمشق على سبيل المثال ، استخلف ابو عبيدة ، يزيد بن ابي سفيان على دمشق ؛ وعمرو بن العاص على فلسطين وشرحبيل بن حسنة على الاردن كما استخلف على حمص بعد افتتاحها عبادة بن الصامت الانصاري مع تخويله صلاحيات عقد الصلح والاتفاق مع المناطق المجاورة (١٠) وفي سنة ١٥هـ /٦٣٦م افتتح شرحبيل بن حسنة الاردن كلها ، وذلك بأمر من ابي عبيدة . كما بعث ابو عبيدة خالد بن الوليد فسيطر على ارض البقاع وعقد الصلح مع اهل بعلبك (١١) وفي سنة ١٦هـ /٦٣٧م بعث ابو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك الى قنسرين ، فصالح اهل حلب ومنبج وانطاكية ، وافتتح سائر ارض قنسرين عنوة (١٢) وحينما ولّى يزيد بن ابي سفيان بعد ابي عبيدة ، وكل اخاه معاوية لمحاصرة وفتح قيسارية ، ففتحها وكتب اليه بفتحها ، فكتب به يزيد الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) (١٣)

وكان التعاون يسود بين قادة بلاد الشام في أثناء الفتح ، وابرز مثال على ذلك : كتمان ابي عبيدة بن الجراح لامر تعيينه قائداً بدلاً من خالد بن الوليد ، لان جيش المسلمين كان محاصراً لدمشق والناس في حرب ، وحينما سأله خالد عن سبب كتمانه للامر ، اجاب

---

(٨) الطبري (برواية سيف) : ١ / ٢٥٧٦ - ٢٥٧٧، ابن الاثير : ٢ / ٥٥٦ .
(٩) عن مركزية عمر انظر : سليمان محمد الطماوي، عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الحديثة ، دراسة مقارنة ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢٨٨ فما بعدها .
(١٠) فتوح البلدان ، ص ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩ .
(١١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، دمشق، ١٩٦٧ - ١ / ١١٧ .
(١٢) المصدر نفسه : ١ / ١٢٤ ، اليعقوبي : ٢ / ١٣٠ - ١٣١ .
(١٣) فتوح البلدان ، ص ١٤٦ .

ابو عبيدة : «كرهت أن اكسرك واوهن امرك وانت بإزاء عدو ...» (١٤) وقد اجاز ابو عبيدة عقود الصلح التي ابرمها القادة الذين كانوا يعملون معه ، ففي اثناء فتح دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي صلحاً ، بينما دخل ابو عبيدة من باب الجابيــة عنوة ،فلما التقى القائدان،اجاز ابو عبيدة صلح خالد وأمانه لاهل دمشق فقال بعض المسلمين «والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه ، فقال ابو عبيدة : انه يجيز على المسلمين ادناهم واجاز صلحه وامضاه ولم يلتفت الى مافتح عنوة ،فصارت دمشق صلحاً كلها وكتب ابو عبيدة بذلك الى عمر وانفذه ...» (١٥) وكذلك صالح السمط بن الاسود الكندي اهل حمص ، فلما قدم ابو عبيدة امضى صلحه ، كما اقر ايضاً صلح عياض بن غنم مع اهل حلب ومنبج (١٦)

« ٢ »

لقد كانت بلاد الشام قبل الاسلام مقسمة الى اربع مقاطعات عسكرية كل واحدة تدعى (جند) وكان في كل جند بعض المدن المتميزة ذلك ان النظام الاداري لهذه البلاد عني بالمدن سواء في عهد الاغريق او الرومان او البيزنطيين . وقد فسح المجال لهذه المدن بادارة نفسهـا وظلت تتمتع بمكانة جيدة على الرغم من تقليص بعض امتيازاتها على حساب السلطة المركزية في عهد الامبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥م) (١٧) وهذه الاجناد هي دمشق. وحمص والاردن ، وفلسطين . وكان العرب يعرفون هذا التقسيم ، فعندما قدموا لافتتاح الشام كان كل امير منهم يقصد الى ناحية ليحررها ، فتوجه عمرو بن العاص الى فلسطين وتوجه شرحبيل بن حسنة الى الاردن ، وتوجه يزيد بن ابي سفيان الى دمشق (١٨) ويشير

---

(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ ، وانظر : رواية ابن اسحق عند الطبري : ١ / ٢١٤٦ ، وقارن : ابن عساكر ، التاريخ الكبير ، باعتناء الشيخ عبد القادر افندي بدران ، مطبعة روضة الشام ، ١٣٢٩هـ : ١ / ١٥١ – ١٥٢ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعه الكتابة ، شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٩ .

(١٥) فتوح البلدان ، ص ١٢٧ – ١٢٩ ، قدامة بن جعفر ، الخراج ص ٢٩٣ .

(١٦) فتوح البلدان ، ص ١٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٥ .

(١٧) انظر : صالح احمد العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٥٨ .

(١٨) فتوح البلدان ، ص ١٢٣ .

البلاذري الى ان المسلمين اختلفوا في تسمية هذه الاجناد ، «فقال بعضهم ان المسلمين سموا فلسطين جندا لانه جمع كورا ، وكذلك دمشق ، وكذلك الاردن ، وكذلك حمص مع قنسرين ، وقال بعضهم : سميت كل ناحية لها جند يقبضون اطماعهم بها جنداً ...» (١٩) اي ان كل ناحية مفردة تعتمد في عطاء جندها على خراجها سميت (جند) .

وبعد الفتح قُسمت بلاد الشام ادارياً الى قسمين : احدهما حاضرته حمص، وكانت قنسرين تابعة له ، والثاني حاضرته دمشق ، ويتبعه الاردن (٢٠)أما فلسطين فظلت قسما قائماً بذاته ، ولكن الخليفة عمر بعد مجيئه الى بلاد الشام وحضوره الجابية سنة ١٧هـ/٦٣٨م قسم فلسطين الى نصفين ، الاول : وكان يحتوي على ايلياء وحيزها ، والثاني : وكان يحتوي على الرملة وحيزها.ويبدو ان هذا التنظيم الخاص بفلسطين جاء بناء على طلب من اهل ايلياء نفسها حينما قابلوا الخليفة (٢١) ولكن البلاذري يشير الى ان الرملة لم تكن قد بنيت قبل سليمان بن عبد الملك وكان موضعها رملة ، ويذكر ايضاً ان اللد هي التي كانت مركزا للجند في فلسطين (٢٢) ، مما يرجح ان العرب اتخذوا اللد وايلياء مركزين لهم في فلسطين ، كما اتخذوا ايضاً طبرية مركزاً لهم في الاردن (٢٣) .

ان التعرف بدقة على اسماء القادة الذين انيطت بهم ولاية هذه المناطق الادارية او الاجناد ليس بالامر الهين ، ذلك لانه لم تصل الينا وثائق معاصرة فيها سجلات وافية عن الوظائف والموظفين في بلاد الشام . وان كان هذا الامر صعباً بالنسبة للعهد الاموي (٢٤) فانه اكثر تعقيداً بالنسبة للفترة التي سبقت هذا العهد ، حيث نجد العديد من الاسماء التي عين بعضها مباشرة من قبل الخليفة عمر ، وعين البعض الاخر من قبل ابي عبيدة بن الجراح ويزيد بن ابي سفيان واخيه معاوية .

---

(١٩) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ، وانظر : حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن ، النظم الاسلامية ، ط٣ القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٤، صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨، ص ٣٠٩ .

(٢١) الطبري (برواية سالم بن عبد الله): ١ / ٢٤٠٣، ٢٤٠٧، وانظر / ابن الاثير : ٢ / ٥٠١ ..

(٢٢) فتوح البلدان ، ص ١٤٩ .

(٢٣) قارن : صالح احمد العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، ص ٦٤ .

(٢٤) انظر : صالح احمد العلي ، موظفو بلاد الشام في العهد الاموي ، مجلة الابحاث : السنة ١٩ ، ج١ ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٤٦

لقد كان القادة العسكريون في بلاد الشام،قبل تولي الخليفة عمر،يقودهم اذا ما اجتمعوا للحرب عمرو بن العاص ، حتى قدم خالد بن الوليد من العراق الى الشام ، فكان امير المسلمين في كل المواقع . فلما تولى الخليفة عمر عزل خالد بن الوليد وولي ابا عبيدة بن الجراح على بلاد الشام كلها (٢٥) وقد تولى هذه المهمة ابرز الولاة الاولين ، فبالاضافة الى ابي عبيدة ، شغل هذا المنصب بعده يزيد بن ابي سفيان ، ثم معاوية بن ابي سفيان . وكان لكل جند من اجناد الشام والياً ، وفيما يأتي محاولة لترتيب اسماء ولاة الاجناد الذين شغلوا مناصبهم في فترات مختلفة من عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) :

الولاة الذين استخلفهم ابو عبيدة بعد فتح دمشق سنة ١٤هـ/٦٣٥م :

على دمشق	:	يزيد بن ابي سفيان (٢٦)
		ثم سويد بن كلثوم بن قيس الفهري (٢٧)
على فلسطين	:	عمرو بن العاص (٢٨)
على الاردن	:	شرحبيل بن حسنة (٢٩)
على حمص	:	عبادة بن الصامت (٣٠)
بعد ان افتتحت عام ١٥ / ٦٣٦		

(٢٥) فتوح البلدان ، ص ١٢٣ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٢٧) الازدي ، تاريخ فتوح الشام ، تحقيق/ عبدالمنعم عبدالله عامر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ص ١٤٨ ، ابن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ : ٣/٢٢٨ - ٢٢٩ ، تاريخ الرهاوي المجهول ، (بالسريانية) ، المطبعة البطريركية السريانية ، بيروت ، ١٩٠٠ ، الفقرة ١١٦ ، ص ٨٨ (وقد استعنت بترجمة عربية مخطوطة قام بها السيد بطرس قاشا) .
(٢٨) فتوح البلدان ، ص ١٣٧ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ، ابن حجر ، الاصابة : ٣/٦٢٥ .

الولاة بعد مؤتمر الجابية سنة ١٧هـ/٦٣٨م (٣١) .

على حمص : ابو عبيدة بن الجراح ويعاونه على قنسرين خالد بن الوليد

على دمشق : يزيد بن ابي سفيان

على الاردن : معاوية بن ابي سفيان

على فلسطين : علقمة بن مُجَزِّز

على الساحل : عبد الله بن قيس

الولاة بعد طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م :

على حمص وما والاها من قنسرين : عياض بن غنم (٣٢)

وبعد وفاة عياض أمّر الخليفة عمر مكانه :

سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي (٣٣)

عبدالله بن قرط الثمالي

تولى حمص لمدة سنة بعد وفاة يزيد بن ابي سفيان

ثم عزله الخليفة وولى مكانه :

عبادة بن الصامت (٣٤)

على الاردن : معاذ بن جبل (٣٥)

على دمشق : يزيد بن ابي سفيان

(٣١) الطبري : ٢٥٢٦/١ ، ابن الاثير : ٥٣٥/٢ - ٥٣٦ .

(٣٢) الطبري : ٢٨٦٥/١ ، اليعقوبي : ١٣٩/٢ .

(٣٣) الطبري : ٢٨٦٥/١ - ٢٨٦٦ ، ابن حجر ، الاصابة : ١١٠/٣ .

(٣٤) الازدي ، تاريخ فتوح الشام ، ص ٢٧٤ ، وقارن : ابن حجر ، الاصابة: ٦٢٥/٣ الذي يشير إلى ولاية عبادة بن الصامت لحمص في زمن ابي عبيدة، وان الاخير عزله وولى عبدالله بن قرط بعده .

(٣٥) اليعقوبي : ١٣٩/٢ .

وبعد وفاته تولى :

معاوية بن ابي سفيان (٣٦)

الولاة في سنة ٢١هـ/ ٦٤١ ـ ٦٤٢م (٣٧) :

على دمشق والبثنية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة	:	عمير بن سعد الانصاري
على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية ومعرة مصرين وقلقية	:	معاوية بن ابي سفيان

الولاة سنة وفاة الخليفة عمر بن الخطاب ٢٣هـ/ ٦٤٣ ـ ٦٤٤م (٣٨) :

على دمشق والاردن	:	معاوية بن ابي سفيان
على حمص وقنسرين	:	عمير بن سعد الانصاري
على فلسطين	:	علقمة بن مُجزز

ومن ملاحظة جداول الولاة هذه يتبين لنا ان الاجناد لم تكن مستقرة خلال هذه الفترة وكذلك لم يكن الولاة ثابتين في ولاياتهم ، فهم في حالة تغيير دائم ، فبعد ان كانت دمشق منطقة ادارية واحدة ، أصبحت تضم بعد سنة ٢١هـ مناطق اخرى حولها ، مثل البثنية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة . ورجعت في سنة ٢٣هـ فاندمجت مع الاردن : وأصبح لها والٍ واحد هو معاوية بن ابي سفيان . وكذلك الأمر مع حمص ، ففي بداية الفتح عين لها والياً خاصاً بها ، ثم الحق به من يعاونه على قنسرين ، ثم دمجت هي وقنسرين مع دمشق تحت امرة وال واحد هو عمير بن سعد الأنصاري . اما الاردن ، فقد عين لها في البداية ايضاً والياً خاصاً بها ، واستمر الأمر كذلك حتى سنة ٢١هـ حيث أصبحت ضمن امرة وال واحد مع عدد آخر من المناطق كالبلقاء ، وفلسطين والسواحل ، وانطاكية ومعرة مصرين وقلقيلية وعادت حين وفاة الخليفة عمر الى الاندماج مع دمشق .

(٣٦) المصدر نفسه : ١٣٩/٢ ، الطبري : ٢٨٦٦/١ .

(٣٧) المصدر نفسه : ٢٦٤٦/١ ، ابن الاثير : ٢٠/٣ ـ ٢١ .

(٣٨) اليعقوبي : ١٥٠/٢ ، الطبري : ٢٧٣٧/١ ، ٢٨٦٦ ، ابن الاثير : ٧٧/٣ .

فهل يعني هذا التغيير وجود فوضى ادارية في بلاد الشام في هذا العصر ، ام ان العرب واجهوا قدراً من المشكلات بحيث اضطروا الى هذا التغيير والتعديل في القيادات والوحدات الادارية ؟ من المرجح ان ظروف البلاد ومشكلاتها الجديدة بعد الفتح ، وعدم حسم مسألة الاستقرار بالنسبة للقبائل العربية المساهمة بالفتح حتى زيارة الخليفة عمر الى الشام ، كانت أحد العوامل المساعدة في هذا التذبذب . ويبدو ايضاً ان طاعون عمواس كان له اثراً في ذلك ، فقد ترك فراغاً في القيادة ، مما أدى الى التغيير السريع في الولاة ، لاسيما بعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح ، ويزيد بن أبي سفيان .

كان اول اجراء اداري قام به الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بالنسبة لبلاد الشام ، هو تغيير خالد بن الوليد بابي عبيدة بن الجراح ، وقد كثرت التعليلات بشأن هذا التغيير ؛ فهناك من ارجعه الى طريقة معالجة خالد بن الوليد لردة مالك بن نويرة ؛واستياء الخليفة عمر بن الخطاب من ذلك (٣٩) . وهناك من اشار الى قول الخليفة عن تبذير خالد للاموال وتوزيعها على أصحاب الشرف والبأس : وحبسها عن الضعفاء (٤٠) . وقد رجع احد المؤرخين المحدثين (٤١) ، ان هذا التغيير له علاقة بضمان انسجام الجند الموجود في بلاد الشام ، حيث كان ضمن هذا الجند عدد من الذين ساهموا في الردة ، وبما ان خالداً كان شديد المناهضة للمرتدين . فقد استبدله الخليفة بابي عبيدة بن الجراح : الذي لم يكن اكفأ من خالد ، لكنه كان اكثر اعتدالاً ، ويمكنه ان يتعاون بسهولة مع كل عناصر الجيش . ويمكن للمرء ان يوافق على ان ابا عبيدة كان اكثر اعتدالاً من خالد ؛ ولكن اقحام مسألة الردة غير جائز ، لان رجال القبائل الذين ساهموا في الردة وارسلهم الخليفة الى جبهة للشام كانوا قليلي العدد ، فهم في حدود سبعمئة رجل فقط بقيادة قيس إبن المكشوح المرادي ، وحتى هذه القوة لم تمكث في بلاد الشام كثيراً ، فقد حولت بعد اليرموك مباشرة الى العراق للمساهمة في معركة القادسية (٤٢) . وهذا العدد قليل جداً بالنسبة للجيوش التي كانت موجودة في بلاد الشام والتي بلغ مجموعها اكثر من عشرين

---

(٣٩) الطبري (برواية محمد بن اسحق) : ٢١٤٨/١ .

(٤٠) الواقدي ، كتاب فتوح الشام : ٥/٢ ، ابن الجوزي ، مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق : زينب ابراهيم القاروط ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٨ ، ١٥٦ .

(٤١) M:-A. . Shaban, Islamic History, Cambridge. 1971, vol.I. P.31.

(٤٢) فتوح البلدان ، ص ٢٧٥ ، الطبري (برواية ابن اسحق) : ٢٣٥٠/١ .

الف رجل (٤٣) . فكيف يغير الخليفة القائد من اجل وجود سبعمئة رجل فقط من اصل أكثر من عشرين الفاً ؟

ان المتتبع لكتب الخليفة الى ابي عبيدة يجد تأكيدات كثيرة على التروي وعدم تقديم المسلمين الى التهلكة (٤٤) . وهذا يفسر ان اعتدال ابي عبيدة كان هو السبب في اختياره.

وقد ألمح الخليفة عمر نفسه الى احد اسباب عزل خالد ، وهو افتتان الناس به وبانتصاراته الباهرة ، فعزله حتى يعلم ان الله ينصر دينه وليس خالد هو الذي يصنع الانتصارات (٤٥) ولم يبخس الخليفة حق خالد : فحينما قدم الجابية قرب خالداً وادناه، وأمّره وسار في الناس على مقدمته (٤٦) وقد اعترف الخليفة بكفاءة خالد ، واشار الى حسن اختيار ابي بكر الصديق له ، وذلك بعد ما سمع عن موقف خالد في افتتاح قنسرين، حيث لم يقاتله اهل الحاضر (٤٧) : وارسلوا اليه يقولون انهم عرب وانما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه : فقبل منهم وتركهم . وقد سر الخليفة عمر بهذا الموقف من خالد . وقال : « أمّر خالد نفسه يرحم الله ابا بكر هو كان اعلم بالرجال مني ... » . وقال عن عزله هو والمثنى بن حارثة الشيباني : « اني لم اعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فلما كان من امره وأمر قنسرين ما كان رجع عن رأيه » (٤٨).

وقد اشرنا الى مسألة تغيير خالد بن الوليد بأبي عبيدة بن الجراح لاهميتها في التعرف على نوعية الصفات التي كان الخليفة عمر يبتغيها فيمن يوليه قيادة الجند ، وولاية البلدان ، فكان يريدهم ان يتبعوا الحق والعدل ، ويعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم ، وان يقسموا

(٤٣) فتوح البلدان ، ص ١١٦ ، الطبري (برواية سيف) : ٢٠٨٧/١ .

(٤٤) المصدر نفسه : ٢١٤٤/١ – ٢١٤٥ ، الواقدي ، كتاب فتوح الشام : ٦/٢ .

(٤٥) ابو يوسف ، الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ ، ص ١٤٨ ، ابن سعد الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ : ٢٨٦/٣ ، وانظر : ظافر القاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٢/ ٥١٥/١ .

(٤٦) اليعقوبي : ١٣٥/٢ .

(٤٧) حاضر قنسرين : حي كبير يسكنه اصناف من العرب من تنوخ، نزلوا به في خيم الشعر اولا ، ثم ابتنوا به المنازل : ياقوت الحموي ، معجم البلدان، بيروت، ١٩٧٧ : ٢٠٦/٢ ، فتوح البلدان ، ص ١٥٠ .

(٤٨) الطبري : ٢٣٩٣/١ ، وانظر رواية سيف بن عمر /٢٥٢٨/١، ابن الاثير ٤٩٤/٢، ٥٣٧ .

فيهم الفيء بالقسط ، وان اشكل بعد ذلك عليهم شيء رفعوه اليه (٤٩) وكان يتحرى القادة ذوي الشخصيات القوية . وبالنسبة لبلاد الشام طبق الخليفة عمر هذه القاعدة ؛ ورجح الاقوى من الرجال على القوي . فقد استعمل عبد الله بن قيس على السواحل ؛ وعزل شرحبيل بن حسنة ، فقال له شرحبيل : « اعن سخطه عزلتني ياامير المؤمنين ؟ قال لا انك لكما احب ولكني اريد رجلاً اقوى من رجل ... » (٥٠) .

ولقد اعتمد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في ادارته للاقاليم وتتبعه لاحوال ولاته فيها على استخبارات منظمة تنقل له حركات وتصرفات عماله في الامصار المختلفة : فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا ناحية من النواحي عامل ولا امير جيش الا وعنيه له عين لايفارقه ماوجده ، ((فكانت)) كما يقول الجاحظ (٥١) ((الفاظ من في المشرق والمغرب عنده في كل ممسى ومصبح. وانت ترى ذلك في كتبه الى عماله وعمالهم حتى كان العامل منهم ليتهم اقرب الخلق اليه واخصهم به)) . وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في كلام الجاحظ ، فقد كان الخليفة يهتم بأحوال عماله ، وأفعالهم ولهذا نجد ان رد فعله كان سريعاً جداً حينما علم باجازة خالد بن الوليد الذي كان عاملاً على قنسرين للاشعث ابن قيس الكندي بمبلغ كبير من المال . وطلب من ابي عبيدة التحقيق فيما اذا كانت الاجازة من مال خالد الخاص ام ((من اصابة اصابها)) وتبين بعد التحقيق ان المبلغ كان من مال خالد الخاص ، ولكن مع ذلك استقدمه الخليفة الى المدينة وطالبه بمبلغ كبير لبيت المال (٥٢) .

وبالاضافة الى الرقابة الشديدة التي اتبعها الخليفة عمر مع ولاته في بلاد الشام وغيرها من البلدان ، فقد طبق عليهم مايطلق عليه اليوم ((براءة الذمة)) او ماسمي ((بالمشاطرة والمقاسمة)) . فقد شاطر الخليفة جماعة عن عماله ؛ منهم سعيد بن ابي العاص . وعمرو

(٤٩) الطبري : ٢٧٤٠/١ .

(٥٠) المصدر نفسه : ٢٥٢٣/١ ، وانظر : ظافر القاسمي ، المرجع السابق : ٤٧٦/١ ، سليمان محمد الطماوي ، المرجع السابق ، ص ٢٧٢- ٢٧٤ .

(٥١) التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق : احمد زكي باشا ، القاهرة ١٩١٤ ، ص ١٦٨- ١٦٩ ، وانظر أيضاً : البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، دار صادر ، بيروت : ١٩٧٠ ص ١٤٣ – ١٤٤ ، وقارن : محمد عبدالقادر خريسات ، عمربن الخطاب والولاة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٥ ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٨ .

(٥٢) الطبري (برواية سيف) : ٢٥٢٦/١ – ٢٥٢٧ ، ابن الاثير ٥٣٦/٢ ، وانظر ، الطماوي ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ – ٢٨٧ .

ابن العاص ، وابو هريرة ، وخالد بن الوليد ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابي وقاص ، وغيرهم (٥٣). وفي هذه السياسة ، كما يشير الدكتور محمد عبد القادر خريسات(٥٤) نوع من سد الذرائع فلا يجوز اغناء فرد بافقار امة ، ولا اسعاد فئة باشقاء مجموع .

وكان مبدأ التدقيق مع الولاة يطبقه الخليفة عمر في كل المناسبات ؛ لاسيما في بلاد الشام حيث حظيت هذه البلاد بزيارته دون غيرها من البلدان الاخرى .

فحينما كان في الجابية وصلته شكاية عن بعض امراء اجناد الشام الذين يأكلون لحوم الطير والخبز النقي الذي لايتوفر لعامة الناس ، فالزم الخليفة هؤلاء الامراء بأن ضمنوا له القوت للمسلمين في كل يوم رغيفين لكل رجل وما يحتاجه من مواد غذائية ، كالحنطة والشعير والخل والزيت والعسل (٥٥) .

وقد توفر لبلاد الشام في عهد الخليفة عمر بعض الولاة الذين كانوا مثال النزاهة والبساطة ، من ابرزهم ابو عبيدة بن الجراح ، حيث زاره الخليفة في بيته بالشام : فلم ير فيه سوى لبد فرسه ، الذي هو فراشه وسرجه ووسادته في آن ، وبعض كسر يابسة من الخبز (٥٦) وكان ابو عبيدة يظهر للناس وعليه الصوف الجافي ، الذي لم يغيره رغم كثرة من كان يشير عليه بذلك (٥٧) وكذلك سعيد بن عامر بن حذيم ، عامله على حمص ، الذي شكاه اهل حمص الى الخليفة ، لانه لايخرج اليهم كثيراً . وقد استدعى الخليفة هذا العامل الى المدينة ، وحقق معه فتبين انه رجل مخلص مؤمن تقي ، وانه لايخرج اليهم لانه مشغول بعمل بيته ، وبالعبادة . وقد امر له الخليفة بمبلغ من المال ليستعين به على قضاء حوائجه(٥٨).

---

(٥٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٨٢/٣ ، اليعقوبي : ١٤٦/٢ .

(٥٤) «عمر بن الخطاب والولاة» ، ص ١٦٩ .

(٥٥) الواقدي ، كتاب فتوح الشام : ٢٦٣/٢ ، الازدي ، تاريخ فتوح الشام ، ص ٢٥٦ ، اليعقوبي : ١٣٥/٢ - ١٣٦ .

(٥٦) الازدي ، ص ٢٥٥ ، ابن الجوزي ، مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص ١٥٠.

(٥٧) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، القاهرة ١٩٦٤ : ٣١٥/٢ .

(٥٨) المصدر نفسه : ٣١٤/٢ ، وانظر : ابن حجر ، الاصابة : ١١٠/٣ .

تنفرد بلاد الشام عن بقية المناطق المفتوحة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . انها حظيت بزيارته .وحسبما تذكر الروايات فانه زارها اكثر من مرة واحدة (٥٩)ولكن ما يتوفر لدينا من معلومات يؤكد ان الخليفة عمر زار بلاد الشام مرة واحدة في اثناء خلافته بعد معركة اليرموك في اواخر عام ١٧هـ /٦٣٨م (٦٠) اما بقية الزيارات فلم يرد عنها تفصيل يؤكدها ، اللهم الا ما يذكر عن الزيارة الثالثة ، التي غادر فيها المدينة بالفعل متوجهاً الى بلاد الشام حتى وصل الى سرغ وهي مكان بين الحجاز والشام ويبعد عن المدينة ثلاث عشرة مرحلة (٦١) ولكنه عدل عن الاستمرار في رحلته بسبب انتشار مرض الطاعون في بلاد الشام (٦٢) .

وتعد زيارة الخليفة لبلاد الشام على درجة كبيرة من الاهمية لما تمخض عنها من نتائج اثرت على مستقبل البلاد . فما هي ياترى الاسباب التي دعت الخليفة الى القيام بها ؟ تشير بعض المصادر الى رواية تقليدية ، وهي ان اهل ايلياء ، وهي مدينة بيت المقدس : طلبوا الى ابي عبيدة ان يكون المتولي لعقد الصلح معهم هو الخليفة عمر بن الخطاب (رض) نفسه فكتب بذلك الى الخليفة، فحضر الى بلاد الشام (٦٣) ويذكر ابن عساكر في رواية عن سفيان بن وهب ، ان امراء الاجناد ارسلوا الى الخليفة عمر ، حينما اجتمع لديهم الفيء ان يأتي الى بلاد الشام ليقسمه بين المسلمين (٦٤) والواقع ان هذين الامرين لايمكن ان

---

(٥٩) الطبري (برواية سيف بن عمر) : ٢٤٠١/١ ، ابن الاثير : ٥٠٠/٢ ، ابن عساكر ، التاريخ الكبير : ١٧٤/١ - ١٧٥ .

(٦٠) الطبري (برواية سيف بن عمر) : ٢٥٢٢/١ ، ٢٥٢٤ .

(٦١) ياقوت ، معجم البلدان : ٢١١/٣ - ٢١٢ .

(٦٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٨٣/٣ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١٢٦/١ ، الطبري (برواية سيف بن عمر) : ٢٥١١/١ - ٢٥١٣ ، ٢٥١٥ ، ابن الاثير ، ٥٥٩/٢ ، ابن الجوزي ، مناقب ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٦٣) الواقدي ، فتوح الشام : ٢٥٤/٢ - ٢٥٥ ، الازدي ، تاريخ فتوح الشام ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ،فتوح البلدان ، ص ١٤٤ ،اليعقوبي ١٣٥/٢ ، الطبري (برواية سيف بن عمر) ٢٤٠٤/١ ، ابن الاثير : ٥٠٠/٢ ، تاريخ الرهاوي المجهول ، الفقرة ١٢٠ ، ص ٩٠ .

(٦٤) التاريخ الكبير : ١٧٥/١ .

يكونا السبب في رحلة الخليفة ، لان كل واحد من امراء الاجناد في الشام كان بامكانه ان يقوم بهما دون الحاجة الى مجيء الخليفة . ولكن يبدو انه كانت هناك بالفعل مشكلات خطيرة تطلبت حضوره ، لاسيما مسألة استقرار الفاتحين في البلاد (٦٥) فقد كتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابية ، وهي قرية من اعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر شمالي حوران ويقال لها ايضاً جابية الجولان، ليوم معلوم سماه لهم(٦٦)، وان يستخلفوا على اعمالهم . فجاء اليه يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد اما عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فلم يحضرا اولا ، لان الموقف في فلسطين حيث كانا : لم يُحسم بعد . ولكنهما جاءا بعد عقد الصلح مع اهل ايلياء (٦٧) وكانت مدة اقامة الخليفة بالجابية عشرين يوما (٦٨)

اما السبب في التوجه الى الجابية دون غيرها، فلانها كانت مركزاً لتجمع الجيوش العربية في بلاد الشام (٦٩) . فقد كان موقعها الجغرافي في هضبة الجولان ، وارتفاعها يؤهلها لان تكون مركزاً لانفاذ الجيوش القادمة من الحجاز ومناطق شبه الجزيرة الى بلاد الشام وفلسطين ومصر (٧٠) وكانت خطة العرب الاصلية هي انشاء حامية عسكرية في هذه المنطقة للسيطرة على كل بلاد الشام ، كما كان الحال بالنسبة للكوفة والبصرة في العراق . ولكن ظروف بلاد الشام كانت تختلف عن ظروف العراق : لاسيما بعد معركة اليرموك ، لان انتصارات العرب لم تؤد الى القضاء على الدولة البيزنطية التي ظلت تهدد العرب بجيوشها من الشمال ، وباساطيلها من الغرب . ولهذا فمن وجهة النظر العسكرية كان يجب تأسيس خطوط دفاعية كبيرة على كلتا الجبهتين ، مما كان يتطلب توزيع القوات العربية وانتشارها في عدة اماكن غير الجابية .

لقد كانت مشكلة توزيع القبائل العربية في بلاد الشام من اهم المشكلات التي واجهت وجودهم هناك ، وكان لابد لهذه المشكلة من حل عاجل نظراً للظروف العسكرية الصعبة :

---

(٦٥) انظر : Shaban, Op. Cit., Vol.I. pp. 40—41.

(٦٦) ياقوت ، معجم البلدان : ٩١/٢ .

(٦٧) الطبري (برواية سيف بن عمر) : ٢٤٠١/١ – ٢٤٠٢ .

(٦٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٨٣/٣ .

(٦٩) الازدي ، تاريخ فتوح الشام ، ص ٧٦ ، ٨٤ ، ٢٥١ .

(٧٠) انظر : صالح العلي ، امتداد العرب في صدر الاسلام ، ص ٧٥ .

وهجمات البيزنطيين ؛ ولهذا تحرك الخليفة لعلاج هذه المشكلة . ومما زاد في تفاقم الامر أن السكان العرب الذين كانوا يعيشون في بلاد الشام قبل مجيء المسلمين استغلوا فرصة وجود الكثير من المدن والمنازل والاراضي الصالحة للزراعة ؛ التي تركها البيزنطيون ومن تبعهم ممن غادر البلاد اثر انتصارات المسلمين ، فاستفادوا منها ؛ وسيطروا عليها اعتقاداً منهم ان المسلمين قد اقتنعوا بالجابية . وقد ادى هذا الوضع الى حرمان الفاتحين من ثمار فتحهم ، لان سكان البلاد العرب أكبر عدداً من الفاتحين المسلمين (٧١) .

لقد تمخض عن مؤتمر الجابية الذي حضره قادة الاجناد في بلاد الشام نتائج مهمة جداً لاسيما بالنسبة للاستقرار . فقد اعاد الخليفة توزيع الدور والاراضي بين جميع المسلمين والعرب ، سواء كانوا من السكان الاصليين ام من الفاتحين . ولم يكتف الخليفة بهذا . بل نظم امور الولاية تنظيماً جيداً ، فقسم الارزاق ؛ وفرض العطاء ، وسمى الشواتي والصوائف ، وقام بجولة في كور البلاد . كما اصدر بعض الاوامر الادارية ، منها تعيين عبدالله بن قيس على السواحل ، وعمرو بن عنبسة على الاهراء ، كما قسم مواريث الذين توفوا نتيجة العمليات العسكرية ، بين الاحياء من اقاربهم (٧٢) واستعمل عمير بن سعد الانصاري على قضاء حمص . واعطى الخليفة توجيهاته بالنسبة للخطة العسكرية القادمة. فأمر ابا عبيدة بالسير الى حلب ، كما امر يزيد بن ابي سفيان بقتال قيسارية حتى يفتحها الله عليه (٧٣) وتشير احدى الروايات التي اوردها ابن عبد الحكم الى اهتمام الخليفة بأمر مصر والتفكير في فتحها ، فقد عرض عليه عمرو بن العاص في اجتماع مغلق استعداده للمسير الى مصر وافتتاحها (٧٤) .

ونظراً لوجود الخليفة عمر في الفترة التي تم فيها الصلح مع اهل ايلياء ، فقد جاء وفد من هذه المدينة الى الجابية ، واكتتبوا منه على ايلياء وحيزها والرملة وحيزها ، فصالحهم الخليفة وكتب لكل كورة من كور فلسطين العشرة كتاباً واحداً باستثناء أهل ايلياء الذين كتب لهم كتاباً خاصاً للصلح (٧٥) .

---

(٧١) انظر : فتوح البلدان ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، وقارن:
Shaban Op. Cit., Vol . I. 41.

(٧٢) الطبري (برواية سيف بن عمر) : ٢٥٢٣/١ - ٢٥٢٤ ، ابن الاثير : ٥٦٢/٢ ، ابن عساكر : ١٧٥/١ ، وانظر : ابن الجوزي ، مناقب ، ص ١٠٠ ، ١٥٦ .

(٧٣) الواقدي ، فتوح الشام : ٢٧١/٢ .

(٧٤) فتوح مصر وأخبارها ، باعتناء جارلس توري ، نيوهيفن ، ١٩٢٠ ص ٥٦ ، وقارن: الواقدي ، فتوح الشام : ٢٧١/٢ .

(٧٥) الطبري (برواية سالم بن عبدالله) : ٢٤٠٣/١ ، ٢٤٠٤ - ٢٤٠٦ .

ونتيجة للسياسة الجديدة التي اقتضتها الظروف العسكرية بعدم الاكتفاء بالجابية مقراً للجيوش العربية الفاتحة ، فقد توسع المسلمون في الاستقرار في بلاد الشام لمواكبة المتطلبات العسكرية وظروف البلاد . وكانت اهم مدينتين اتخذهما العرب للاستقرار هما دمشق وحمص . ففي دمشق أعطي رجال القبائل الفاتحين الدور والممتلكات التي شغرت بسبب لحاق عدد كبير من الناس بهرقل حينما كان في انطاكية، فنزلها هؤلاء المسلمون (٧٦). اما في حمص ، فقد كانت نسبة الاستقرار فيها اكثر لقربها عن خط الدفاع في الجبهة الشمالية. وقد تولى هذه المهمة القائد السمط بن الاسود الكندي الذي (قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم في كل مرفوض جلا اهله او مساحة متروكة)) (٧٧). وقد ساعد شرحبيل بن السمط اباه الذي طلبه من الكوفة ، فحوله الخليفة عمر الى الشام حيث نزل حمص مع ابيه (٧٨) .

اما بالنسبة للسواحل ، فقد كان الاستقرار فيها ايضاً ضرورياً من اجل مواجهة الخطر البيزنطي من البحر . فقد اوعز الخليفة عمر الى القائد ابي عبيدة بن الجراح ان يرتب بانطاكية جماعة من المسلمين ويجعلهم فيها مرابطة يأخذون العطاء (٧٩). كذلك اتخذت اجراءات مماثلة بالنسبة لبقية المناطق الساحلية الاخرى . مثل اللاذقية ، وانطرطوس ، وقورس ، ومرقية وبلنياس (٨٠) وقد اصبح الجند المستقرون في هذه السواحل قوة فعالة في الدفاع ضد الهجمات البيزنطية من البحر (٨١) وهكذا استمرت سياسة ابي عبيدة في توزيع القبائل العربية على المناطق المفتوحة ، فولى كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة من المسلمين ، وشحن النواحي الخطرة بالرجال . ولم يقتصر الامر على المسلمين حسب بل شملت اجراءات ابي عبيدة العرب الذين كانوا في بلاد الشام ، فقد رتب ببالس ، وهي بلدة بين حلب والرقة ، جماعة من المقاتلة ، واسكنها قوما من العرب من اهل الشام

---

(٧٦) فتوح البلدان ، ص ١٢٩ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ ، وانظر : الطبري (رواية سيف) /٢٣٩٢/١ ، ابن الاثير : ٤٩٢/٢ .

(٧٨) فتوح البلدان ، ص ١٤٣ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٥٤ وانظر : معجم البلدان : ٢٧٠/١ ، ٤١٢/٤ ، ٤٨٩ ، ١٠٩/٥ .

(٨١) فتوح البلدان ، ص ١٣٣ ، وقارن : shaban ,Op. Cit., I. p. 42

فأسلموا بعد قدوم المسلمين . واسكنها ايضاً قوماً لم يكونوا من البعوث ، جاءوا من البوادي من قيس ، وفعل الشيء نفسه مع قاصـرين بالقرب من بالس (٨٢).

ولم يقتصر الاستقرار على المدن والسواحل ، بل شمل مناطق أخرى تقع خارج المدن لاسيما الاراضي والمروج والقرى والمزارع التي تركها اهلها في اثناء الفتح وهربوا الـى البيزنطيين في الشمال ، او الذين قتلوا في المعارك مع المسلمين ، فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين ، فنزل فيها الجند ، ومن هذه المناطق مرج بـردى ما بين المـزة وبيـن مرج شعبان . وكذلك كانت هناك مروج مباحة فيما بين دمشق وقراها ، ليست لأحـد فاقاموا فيها وأحيا كل قوم محلتهم ، ورفعوا الامر الى الخليفة عمر : فأقرهم على استقرارهم فبنوا الدور ، وغرسوا الشجر (٨٣)

(٤)

وبعد اكتمال إفتتاح بلاد الشام واستقرار القبائل العربية فيه كـان لابد مـن اتخـاذ اجراءآت ادارية وتنظيمات مالية تنظم الحياة العامة للمسلمين وللسكان المحليـين ايضـاً وتستند التنظيمات الادارية التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في ادارة البـلاد والاقاليم المفتوحة عامة ، وبلاد الشام ، موضوع بحثنا بشكل خاص ، الى احترام اسس خلقية معينة، والى تعاليم الاسلام ، كأحترام الانفس ، والاموال، والاديان وغيرها (٨٤).

وكان القضاء من الامور المهمة التي تشغل بال الخليفة، واهتمامه بهذا الجانب معروف بالنسبة لجميع الاقاليم (٨٥) ففي فترة الفتوح يبدو ان القادة العسكريين كانوا هم الذين يتولون مهمة القضاء . ويتضح هذا الامر من رسالة بعث بها الخليفة الى ابي عبيدة بـن الجراح يقول فيها : ((اما بعد فاني اكتب اليك بكتاب لم آلك ونفسي فيه خيراً : الـزم خمس خصال ، يسلم لك دينك وتحفظ بافضل حظك ، اذا حضرك الخصمان فعليـك بالبينات العدول والايمان القاطعة ، ثم ادن الضعيف ، حتى ينبسط لسانه ، ويجتريء قلبه ، وتعاهد الغريب ، فانه اذا طال حبسه ، ترك حاجته وانصرف الى اهله ، واذا الذي

---

(٨٢) فتوح البلدان ، ص ١٥٥ ، وانظر : معجم البلدان : ٣٢٨/١ ، ٢٩٧/٤ .

(٨٣) ابن عساكر : ١٨٢:١ – ١٨٣ ، ١٨٤ – ١٨٥ .

(٨٤) قارن : شكري فيصل ، المجتمعات الاسلامية في القرن الاول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٦٠ فما بعدها ، فاروق عمر فوزي ، النظم الاسلامية ، العين. ١٩٨٣ ، ص ٧١ – ٧٤ .

(٨٥) انظر : الطماوي، عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الحديثة ، ص ٢٣١ فما بعدها .

ابطل حقه ، من لم يرفع به رأساً . احرص على الصلح ، مالم يبن لك القضاء والسلام (٨٦).

ولكن بعد استقرار الامور وتوطيد السلطة العربية في بلاد الشام ، انيطت مهمة القضاء الى رجال متخصصين واعفي منها الولاة فكان الخليفة يعين رجالاً من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لاستلام مهمة الصلاة والقضاء . فحينما ولي معاوية بن ابي سفيان على الشام بعد وفاة اخيه يزيد ، ولى معه رجلين للصلاة والقضاء ، الاول : ابو الدرداء ، تولى قضاء دمشق والاردن وصلاتهما ، والثاني : عبادة بن الصامت ، تولى قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما (٨٧) وربما كان هذان الرجلان مسؤولين عن تعيين اشخاص آخرين لينوبوا عنهما في هذه المهمة بالنسبة للمناطق الادارية التي تتبع اجناد دمشق وحمص وقنسرين .

ومن أجل استمرار الحياة الأقتصادية ، وحركة التعامل التجاري في أثناء الفتح وبعده، قبل الخلفية عمر نموذج النقود البيزنطية التي كانت سائدة في بلاد الشام . ويدل على هذا الكميات الكبيرة من القطع البرونزية التي تم العثور عليها ، والتي ضربت في عهد الخليفة عمر على الطراز البيزنطي . ومن استعراض هذه « الفلوس » نجد على احد وجهي القطعة صورة هرقل الامبراطور البيزنطي واقفا وتحيط به الشارات المسيحية وهي «الصليب» الذي يعلو التاج والصليب فوق عصا المطرانية بيده اليمنى والكرة التي يعلوها الصليب محمولة باليد اليسرى وعلى الوجه الثاني نجد الرمز النقدي M الذي يشير إلى الرقم ٤٠ في الابجدية اليونانية بمعنى ان القطعة تساوي اربعين نميا Nummia وفوق هذا الحرف نجد الصليب ؛ كما نرى التاريخ الهجري سنة ١٧ هـ مكتوباً باليونانية . وتحمل أقدم هذه النقود اسم دار الضرب دمشق باليونانية » (٨٨) .

ولكن ابتدأ العرب بالتدريج يقللون من التأثير البيزنطي على النقود ، لا سيما بعد ازدياد خبرتهم في هذا المجال ، وبعد احكامهم للسيطرة العسكرية على البلاد . وقد ابتدأت الكتابات العربية تظهر إلى جانب الكتابات اليونانية . فنجد مثلا ان دمشق تكتب باليونانية والعربية معا ، وكذلك حمص وطبرية . كما اخذت تظهر على القطع بعض العبارات التي تشير إلى الوزن الشرعي الصحيح ، مثل لفظ (طيب) او (جائز) او (واف) .

(٨٦) ابن الجوزي ، مناقب ، ص ١٣٠ ، وقارن : ابو يوسف ، الخراج ، ص ١١٧ .

(٨٧) فتوح البلدان ، ص ١٤٦ .

(٨٨) عبدالرحمن فهمي محمد ، النقود الاسلامية ماضيها وحاضرها ، القاهرة ، ١٩٦٤ . ص ٢٦ – ٢٧ .

ولكن مع ذلك ظلت صورة هرقل ومعه صورة ابنيه تظهر على النقود العربية . غير ان الكتابات العربية اخذت تميل بمرور الزمن إلى احتلال مكان اكبر على الفلوس البرونزية فظهرت البسملة (بسم الله) واعقبها بعد قليل شهادة الوحدانية والرسالة المحمدية (لااله الا الله محمد رسول الله) (٨٩) .

وقد اقتصر الضرب في عهد الخليفة عمر على الفلوس البرونزية . ولكن يحتمل ان تكون بعض الدراهم المضروبة على الطراز البيزنطي قد سكت ايضا في عهده (٩٠) ويبدو ان بعض قادة الجند في اثناء الفتح قد سكوا بعض النقود باسمهم على الطراز البيزنطي، فهناك من يرى أن خالد بن الوليد قد سك باسمه نقودا في طبرية على الطراز البيزنطي سنة ١٥ أو ١٦ هـ / ٦٣٦ أو ٦٣٧م . (٩١) وقد اسلفنا ان الخليفة عمر وافق ضمنا على سك مثل هذه النقود ، وربما يكون قد خول القادة للقيام بمثل هذا الاجراء حيثما كان ذلك ضرورياً لتسهيل التعامل بين الجيش الفاتح والسكان المحليين .

أما بالنسبة للتنظيم المالي الذي اتخذه العرب في بلاد الشام، فقد كان سهلا كتنظيم الاستقرار فيها، وهو يلائم هذا الاستقرار ومتعلق به (٩٢) . فقد كان المسلمون يدفعون عشورهم على الاراضي التي يمتلكونها ، وهي عائدة تلك التي جلا عنها اهلها، واقطعت للمسلمين، فاحيوها وكانت مواتا لاحق لاحد فيها (٩٣) . اما غير المسلمين، فاستمروا في دفع ضرائبهم ، لاسيما الجزية ، استنادا الى النظام البيزنطي . وهذا يفسر بقاء العديد من موظفي الضرائب السابقين الذين ابقوا عليهم من أجل تسيير عجلة الادارة الجديدة(٩٤). وهكذا نرى ان الاسلام لم يستحدث الجزية، بل انها كانت قديمة ، حيث فرضها اليونان على سكان اسيا الصغرى في القرن الخامس ق.م . كذلك الزم الرومان والفرس والامم

(٨٩) المرجع نفسه ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٩٠) J. walker, A Catalogue of the Arab- Byzantine and post Reform Umaiyad Coins, London. 1956.p.46.

(٩١) Ibid, p. 47.

لمحة عن تاريخ النقود ، منشور مع كتاب انقود وعلم النميات للاب انستانس الكرملي ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ٩١ ، جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، بيروت ، ١٩٦٧ : ١/ ٣٥ .

(٩٢) انظر : Shaban, op. cit., vol I. p. 43.

(٩٣) فتوح البلدان ، ص ١٥٧ .

(٩٤) انظر : آرثر ستانلي ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ترجمة وتعليق : حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٣ ، ١٤ .

التي خضعت لهم بدفع الجزية، الا أنها كانت اضعاف الجزية التي وضعها المسلمون على اهل الذمة (٩٥).

وقد كانت الجزية في بادىء الامر في بلاد الشام جريبا من الحنطة عن كل جريب ارض (٩٦) ، ودينارا واحدا عن كل فرد من الفلاحين. ثم نظمها الخليفة عمر، فجعلها على كل الذكور من غير المسلمين الذين يعيشون في المدن والارياف ، بمعدل يتراوح بين دينار واحد الى دينارين الى اربعة دنانير ، تبعا لحالة دافع الضريبة المالية ، يستوي في ذلك اليهود والنصارى (٩٧). واما تحديد الطبقات فكان يتم على الشكل الاتي ، كما اورده قدامة بن جعفر (٩٨). «اهل العليا هم الذين لهم المال المشهور من الصامت والضياع والدور والرقيق الذي لايمكنهم ستره. واهل الوسطى هم الذين تعرف لهم دور ويسار ويوثق بهم في الأموال ويؤتمنون على المتاع. واهل الدون هم سائر من دون هذه الطبقة». ولم تكن الجزية تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه . ولا من الاعمى الذي لا حرفة له ولا عمل، ولا من المتعدء ولا من الرهبان واهل الصوامع ،الا اذا كانوا من اهل اليسار ، ولا من الشيخ الكبير الذي لايستطيع العمل، ولا من المجنون (٩٩) .

بالاضافة الى المبالغ النقدية كان على كل ذمي ان يدفع مايسمى بالارزاق ، وهي :

---

(٩٥) انظر : صبحي الصالح ، النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، ص ٣٦٤ .

(٩٦) مكيال (الجريب) في صدر الاسلام كان يساوي ٢٢,٧١٥ كغم قمح، والجريب مساحة يساوي ١٥٩٢ مترمربع : انظر : فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية ومسا يعادلها في النظام المتري ، ترجمة : كامل العسلي ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ١٩٧٠ ، ص ٦١ ، ٩٦ .

(٩٧) فتوح البلدان ، ص ١٣١ ، قدامة بن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٩٥ ، ابن عساكر : ١٧٩/١ .

(٩٨) الخراج وصنعة الكتابة ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٩٩) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ، ابو عبيد ، الاموال ، القاهرة ، ١٣٥٣ه ص ٣٧ فما بعدها ، الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٤ .

مدان من الحنطة (١٠٠)، وثلاثة اقساط من الزيت في كل شهر (١٠١)، وكميات اخرى من الودك (أي دسم اللحم)، والعسل، والثياب (١٠٢).

وبالنسبة للاراضي عمل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) على ان تبقى في يد اصحابها الذين يقومون بالعناية بها وزراعتها، وفي مقابل ذلك يدفعون للمسلمين ضريبة الارض او الخراج بنسب معلومة على المنتجات التي تجبى كل سنة من الارض المزروعة ، وبضمنها ايضا الواجبات العينية التي اشرنا اليها من حنطة وزيت وعسل وغيرها. وتختلف معاملة الاراضي حسب طبيعة الفتح، فاذا فتحت البلد صلحا يؤخذ عنها ضريبة الخراج: ويتفق على قيمة هذه الضريبة. اما اذا اخذت البلد عنوة، فتعتبر فيئا للمسلمين، ويؤخذ عنها الخراج ايضا اذا اراد الخليفة ان يتركها بيد اصحابها بدلا من ان يوزعها على المحاربين(١٠٣).

لقد كانت سياسة الخليفة عمر العامة ازاء مسألة الاراضي. هي عدم القسمة: وتركها بيد اهلها، كما فعل في ارض السواد (١٠٤). وبالنسبة لبلاد الشام يذكر أبو يوسف: ان ابا عبيدة بن الجراح كتب الى الخليفة يسأله امكانية تلبية طلب المسلمين الذين معه بشأن قسمة الأراضي عليهم، فاجابه الخليفة ان يترك الأرض بيد اصحابها لانهم «...عمار الارض فهم اعلم بها واقوى عليها ولا سبيل لك عليهم ولا للمسلمين معك ان تجعلهم فيئا وتقسمهم للصلح الذي جرى بينك وبينهم ولاخذك الجزية منهم بقدر طاقتهم... أرأيت لو أخذنا اهلها فاقتسمناهم ماكان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين؟» (١٠٥). اذن نظر الخليفة الى المستقبل، واراد ان يشرك اكبر عدد ممكن من الناس في الاستفادة

---

(١٠٠) المد يساوي ٨١٢,٥ غرام (قمح) ، انظر : فالترهنتس ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(١٠١) القسط : منه حجمان ، القسط الصغير وسعته ١,٢١٥٨ لتر ، والقسط الكبير كان ضعف الصغير تماماً ، ولا يوجد لدينا ما يشير إلى اي القسطين هو المقصود هنا، انظر : هنتس ، المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(١٠٢) فتوح البلدان ، ص ١٣١ ، قدامة بن جعفر ، الخراج ، ص ٢٢٦ ، ابن عساكر: ١٧٩/١ .

(١٠٣) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٥٩ ، ٦٩ ، أبو عبيد ، الاموال ، ص ٧٤ ، قدامة ، الخراج ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

(١٠٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٦ ، ٣٦ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٤٠ – ٤١ ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ١٧٤ – ١٧٥ .

(١٠٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٤٠ – ١٤١ .

من الارض، لاسيما الذين يأتون بعد جيل الفتح، يضاف الى ذلك استخدام واردات هذه الأرض لسد نفقات الثغور وتحصين السواحل، ولتوفير المال اللازم لاعطيات المقاتلين، وارزاقهم حتى يستطيعوا ان يدافعوا عن الاراضي المفتوحة ، ويستمروا في جهاد العدو (١٠٦).

وقد نظمت الضرائب التي تؤخذ على التجارة ايضا. وكانت قاعدة العشور هي المعمول بها بالنسبة للتجارة . فكان على التجار المسلمين ان يدفعوا ربع العشر اي ٢,٥٪ ، وعلى اهل الذمة نصف العشر اي ٥ ٪. اما اهل الحرب ،اي رعايا الدولة البيزنطية، فكان عليهم دفع العشر اي ١٠٪ . ويبدو انه كانت هناك حالة من التبادل التجاري بين مناطق الحدود، اي الثغور، وبين المناطق التي وقعت بأيدي المسلمين فقد طلب قوم من اهل منبج التجارة في الاراضي الاسلامية، فكتبوا الى الخليفة عمر: «دعنا ندخل ارضك تجاراً وتعشرنا» فوافق الخليفة بعد ان شاور اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان أهل منبج أول من عشر من اهل الحرب(١٠٧)،وبطبيعة الحال، لم يكن اهل منبج الوحيدين الذين مارسوا التجارة مع الاراضي الاسلامية؛ ولا شك ان هناك حالات اخرى كثيرة مشابهة . ولابد ان عشور التجارة كانت تشكل موردا لابأس به للدولة ، وليس ادل على اهميتها من ان الخليفة عين موظفا خاصاً لعشور العراق والشام. ولكن ابا يوسف،الذي ذكر لنا هذا الخبر ، لم يحدد موقعه بالضبط ،واين كان مركزه بالنسبة لبلاد الشام (١٠٨).

وكانت واردات الضرائب بصورة عامة تستعمل في بناء التحصينات على السواحل(١٠٩)، وربما في الاعداد لبناء اسطول عربي في البحر المتوسط لصد الغارات البحرية البيزنطية . يضاف الى ذلك ، فان هذه الواردات كانت تغطي النفقات الادارية الاعتيادية . ورواتب القادة والجند. اي اعطياتهم . وعلى الرغم من ان نظام العطاء لم يكن قد استقر بعد في بلادالشام في هذه الفترة المبكرة. ولكن المصادر تشير الى ان بعض الحالات التي قد تساعدنا في تكوين فكرة اولية عن العطاء في بلاد الشام في هذا العهد . فلقد كان اعلى عطاء للذين اشتركوا في عمليات الفتح الاولى ، اي معركة اليرموك وما قبلها الفي درهم في السنة ،

---

(١٠٦) انظر : فتوح البلدان ، ص ١٥٦ ، ابو يوسف ، الخراج ، ص ٢٦ – ٢٧ ، ابن عساكر ، ١/١٨٠ – ١٨١ .

(١٠٧) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٥ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ١٣٥ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

واهل البلاء البارع منهم الفين وخمسمئة (١١٠).وقد تدرج عطاء الجند من هذا الحد الاعلى الى ثلاثمئة، والى مئتي درهم . حسب بلائهم ومساهمتهم في للفتح اما الذين جاءوا الى بلاد الشام بعد معركة اليرموك، فقد فرض لهم الف درهم. ثم فرض للروادف من الذين جاءوا بعدهم خمسمئة درهم، ولمن بعدهم مئتين وخمسين درهماً ثم مئتي درهم وهكذا...» (١١١) اما المواد العينية ، كالحنطة والزيت وغيرها ، فربما كانت توزع على الجند الذين كانوا يسكنون في المدن، والذين لم يعطوا اراضي ، اما الذين استقروا في الأرياف ،فكان عليهم ان يكتفوا بانتاجهم (١١٢).

(٥)

وبعد هذا العرض السريع للاجراءات الادارية والمالية التي تمت في بلاد الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ، لابد من الاشارة إلى موقف السكان المحليين، ومدى تأثرهم بهذه الاجراءات . ولكن لابد من التنويه انه ليس من هدف هذا البحث الا ستطراد في الحديث عن مدى تسامح العرب مع السكان المحليين ، وتساهلهم معهم في شؤون الضرائب ، حيث ان هذا الامر كان ولا يزال من الحقائق المعروفة التي اشار اليها الكثير من الباحثين (١١٣) لقد كان هذا التسامح ، وسيرة المسلمين الحسنة مع أهل المنطقة احد العوامل الرئيسة في تعاون هؤلاء السكان مع الفاتحين . ولم يكن للدين المسيحي الذي يعتنقه كل من البيزنطيين واهل الشام اثر رابط بين الاثنين ، لان الاهالي كانوا على المذهب اليعقوبي الذي لم يعتنقه الحكام الارثدوكس ، مما زاد في تعاون اهل الشام مع الجيوش العربية . ولكن مع ذلك كانت هناك عوامل اخرى تحكمت في موقف اهل البلاد من المسلمين ، لاسيما قبل معركة اليرموك ، منها حال قوة المسلمين ومركزهم ازاء قوة البيزنطيين واغراءاتهم المادية ، وعلاقة البيزنطيين مع بعض امراء العرب الغساسنة

---

(١١٠) الطبري : ٢٤١٢/١ ، ابن الاثير : ٥٠٣/٢ .

(١١١) الطبري : ٢٤١٣/١ ، ابن الاثير : ٥٠٣/٢ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢٩٧/٣ .

(١١٢) انظر : Shaban ,Op. Cit., vol. I. 44

(١١٣) انظر على سبيل المثال : فان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، ومحمد زكي ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦ ، سير توماس ارنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن واخرون ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٧٤ ، ٧٥ ، كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، ترجمة ، بدرالدين القاسم ، بيروت ، ١٩٧٢ : ٢٧/١ ،
Bernard Lewis, The Arabs in History, London, 1975,p. 58.

وغيرهم ، وميل بعضهم إلى بيزنطة طمعا في المال وابقاء على سلطانهم ونفوذهم . وقد ادت هذه العوامل إلى اختلاف موقف عرب الشام من الفتح الاسلامي . ولكن بعد معركة اليرموك تغير الموقف لصالح المسلمين . وتضاءلت الاعتبارات التي كانت تغري بالانضمام إلى البيزنطيين امام انتصارات المسلمين المتلاحقة . فاقتنع العرب في بلاد الشام بعزل قضيتهم عن قضية البيزنطيين ، وان مصيرهم وقدرهم هو مع اخوانهم المسلمين (١١٤). وقد ادى هذا الموقف الايجابي إلى اقتناع الخليفة باهمية الأستفادة من عرب الشام للوقوف امام البيزنطيين ، فكتب إلى ابي عبيدة ان يستعين بهم في معارك الجبهة الشمالية من بلاد الشام (١١٥) .

ولقد وقف بالفعل بعض أهالي الشام موقفا مشرفاً مع المسلمين ،وتطوعوا بالعمل مع الجيش الفاتح؛ مثال ذلك الجراجمة بالقرب من انطاكية، حيث صالحوا حبيب بن مسلمة الفهري ،الذي ولاه ابو عبيدة على انطاكية: على ان يكونوا اعوانا للمسلمين ومسالح في جبل اللكام، وفي مقابل ذلك اعفوا من الجزية، واعطوا نصيبهم من الغنائم في المعارك التي شاركوا فيها (١١٦)، لان الجزية كما هو معروف كانت تؤخذ من الذمي القادر على حمل السلاح لقاء حمايته واعفائه من الخدمة العسكرية ،لكنه اذا مادخل في خدمة الجيش الاسلامي. سقطت عنه الجزية ،كما هو الحال مع الجراجمة الذين اشرنا الى موقفهم من المسلمين. وقد اعفى ابو عبيدة بن الجراح السامرة، وهم يهود في الاردن وفلسطين: من الخراج واكتفى بأخذ الجزية منهم، لانهم ساعدوا المسلمين بأن يكونوا عيونا وادلاء لهم على اعدائهم (١١٧). كما عمل بعض انباط الشام أيضاً جواسيس للمسلمين ينقلون اليهم انباء اعدائهم من البيزنطيين (١١٨). بل ان قادة المسلمين وثقوا بهم الى درجة

---

(١١٤) انظر : محمد ضيف الله البطاينة ، العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٨١ - ٨٥ .

(١١٥) الطبري : ١/ ٢٣٩٣ .

(١١٦) فتوح البلدان ، ص ١٦٤ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .

(١١٨) ابن اعثم الكوفي ، كتاب الفتوح ، حيدر اباد الدكن ، ١٩٦٨ ؛ : ١/١٧٥ .

كبيرة: حتى ان ابا عبيدة بن الجراح استخدم أحد انباط الشام النصارى ليحمل كتابا الى الخليفة عمر في المدينة (١١٩).

وكانت شروط الصلح التي يعقدها المسلمون مع مدن الشام تتضمن تعهدات اساسية باحترام الشعائر الدينية للسكان المسيحيين، والابقاء على كنائسهم، وعلى الا يمنعوا من التمتع باعيادهم (١٢٠). بل ان الخليفة عمر كتب الى ابي عبيدة ان يسمح للمسيحيين ان يخرجوا وهم يحتفلون برفع صلبانهم في عيد الفصح خارج المدينة (١٢١). وقد حرص الخليفة عمر حينما كان يزور بلاد الشام الا يأمر بأي اجراء قد يفهم منه نقض او تراجع عن عهود المسلمين للسكان المحليين (١٢٢). وكان يستمع الى شكاواهم ويأمر قادته بالرفق بهم، وعدم تعذيبهم او تكليفهم بما لايطيقون من دفع الجزية او الخراج (١٢٣). ويشير البلاذري الى ان الخليفة عمر امر باعطاء الصدقات واجراء القوت على جماعة من النصارى المجذومين حينما رآهم في طريقه الى الجابية (١٢٤).

وليس ادل على حسن معاملة المسلمين لأهل الشام من انهم ردوا على اهل المدن أموال الضرائب التي اخذوها منهم، وذلك حينما اضطروا لترك هذه المدن والتجمع لقتال البيزنطيين في اليرموك. وقد كتب ابو عبيدة لسويد بن كلثوم عامله على الشام (١٢٥).

---

(١١٩) المصدر نفسه : ١٨٧/١ - ١٨٩ وللاستزادة عن دور الانباط في الفتوح الاسلامية، انظر : صالح الحمارنة ، دور الانباط في الفتوح الاسلامية ، مجلة دراسات ، العلوم الانسانية ، م ٧ ، العدد ١ حزيران ، ١٩٨٠ ، ص ١٦٧ - ١٧٨ . وعن استخدام نصارى العرب كجواسيس وعيون للمسلمين ، انظر : احمد عادل كمال ، الطريق الى دمشق ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(١٢٠) انظر : تاريخ خليفة بن خياط : ١١٢/١ ، فتوح البلدان ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٥٢ ، الطبري : ٢٤٠٥/١ ، ابن الاثير : ٤٩٥/٢ ، إبن عساكر : ١٧٨/١.

(١٢١) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٤١ .

(١٢٢) فتوح البلدان ، ص ١٤٥ .

(١٢٣) الواقدي ، فتوح الشام : ٢٥٩/٢ ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٢٥ ، اليعقوبي: ١٣٦/٢ ، ابن عساكر : ١٧٩/١ ، وانظر : ترتون ، اهل الذمة في الاسلام ، ص١٥٧ - ١٥٨ .

(١٢٤) فتوح البلدان ، ص ١٣٥ .

(١٢٥) تاريخ الرهاوي المجهول ، الفقرة ١١٦ ، ص ٨٨ .

ولولاته ان يقولوا لاهل البلاد : «انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا ماجمع لنا من الجموع وانكم اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لانقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم..» (١٢٦). وقد اثار هذا الموقف السامي مشاعر اهالي المدن ،وعبروا لقادة المسلمين عن حبهم لولايتهم وعدلهم، واستعدادهم للدفاع عن مدنهم مع المسلمين. استوى في ذلك اليهود والنصارى في حمص ودمشق وغيرها من المدن التي اتفقت على الصلح مع المسلمين (١٢٧). وبعد انتصار المسلمين فرح اهل الشام وخرجوا لملاقاتهم بسرور عظيم، وأبدوا معهم الوعود والعهود السابقة بكل ود ومحبة (١٢٨) .

بهذه الروح الأنسانية ابتدأ العرب ادارتهم لبلاد الشام وتعاملهم مع أهلها . واستمروا على هذا الموقف في اثناء الفتح وبعده، يتبعون في كل ذلك توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، الذي وضع القواعد الاساسية السليمة لهذه الادارة. وقد سار على هذا النهج واكمله معاوية بن ابي سفيان، سواء في فترة ولايته لبلاد الشام ام في فترة خلافته اللاحقة بعد سنة ٤١هـ — ٦٦١م هو وبقية الخلفاء الامويين. وما الانجازات الكبيرة التي تمت في عهد عبد الملك بن مروان، وابنيه الوليد وهشام من تعريب للدواوين ، واصلاح للنقود، وفتوح عظيمة، الا ثمرة للسياسة الادارية الحكيمة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في هذه البلاد .

(١٢٦) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٩ .

(١٢٧) فتوح البلدان ، ص ١٤٣ .

(١٢٨) تاريخ الرهاوي المجهول ، الفقرة ١١٦ ، ص ٨٨ .

قائمة المصادر والمراجع

(آ) المصادر الاولية :

ابن الاثير ، علي بن ابي الكرم.
١ ـ الكامل في التاريخ ،بيروت ، ١٩٧٩ .
الأزدي، محمد بن عبد الله
٢ ـ تاريخ فتوح الشام: تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر ،القاهرة، ١٩٧٠ .
ابن اعثم الكوفي ،احمد بن عثمان .
٣ ـ كتاب الفتوح ،حيدر اباد الدكن، ١٩٦٨ .
البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر.
٤ ـ فتوح البلدان : تحقيق: رضوان محمد رضوان، القاهرة ، ١٩٥٩
البيهقي، ابراهيم بن محمد
٥ ـ المحاسن والمساوىء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠ .
الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر.
٦ ـ التاج في اخلاق الملوك، تحقيق : احمد زكي باشا، القاهرة ١٩١٤
ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي
٧ ـ مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: زينب ابراهيم القاروط، بيروت ، ١٩٨٠ .
ابن حجر ،احمد بن علي بن حجر العسقلاني.
٨ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: علي محمد البجاوي : مطبعة نهضة مصر ،القاهرة، ١٩٧٢
ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري .
٩ ـ تاريخ خليفة بن خياط : تحقيق: سهيل زكار، دمشق، ١٩٦٧ .
الرهاوي، مجهول .
١٠ - تاريخ الرهاوي المجهول: بالسريانية، المطبعة البطريركية السريانية بيروت، ١٩٠٠.
ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع.
١١ ـ الطبقات الكبرى: دار صادر: بيروت ، ١٩٦٨.
الطبري، محمد بن جرير.

١٢ ـ تاريخ الرسل والملوك ،نشر: دي غويه: ليدن، ١٩٧٩ ـ ١٩٠١ .
ابن عبد الحكم، عبد الرحمـن بن عبد الله .
١٣ ـ فتوح مصر واخبارها، باعتناء : جارلس توري (نيوهيفن ١٩٢٠ اعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد .
أبو عبيد ، القاسم بن سلام .
١٤ ـ الاموال ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن .
١٥ ـ التاريخ الكبير ، باعتناء : الشيخ عبدالقادر افندي بدران ، مطبعة روضة الشام ، ١٣٢٩ هـ .
قدامة ، ابو الفرج قدامة بن جعفر .
١٦ ـ الخراج وصنعة الكتابة : شرح وتعليق : محمد حسين الزبيدي ، بغداد ، ١٩٨١ .
الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد .
١٧ ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين .
١٨ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، القاهرة ١٩٦٤ .
الواقدي ، محمد بن عمر .
١٩ ـ كتاب فتوح الشام ، نشر : وليم ناسوليس ، كلكتا : ١٨٥٤ .
ياقوت ، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي .
٢٠ ـ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ .
اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب .
٢١ ـ تاريخ اليعقوبي ، النجف ، ١٩٧٤ .
ابو يوسف ، القاضي يعقوب بن ابراهيم .
٢٢ ـ الخراج ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

(ب) المراجع الثانوية :

حسن ؛ حسن ابراهيم حسن وعلي ابراهيم حسن .

٢٣ ـ النظم الاسلامية ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

زيدان ، جرجي زيدان .

٢٤ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ، بيروت ؛ ١٩٦٧ .

الصالح ، صبحي الصالح .

٢٥ ـ النظم الاسلامية ، نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت ؛ ١٩٧٨؛

الطماوي ؛ سليمان محمد الطماوي .

٢٦ ـ عمر بن الخطاب واصول السياسة والادارة الحديثة ؛ دراسة مقارنة ؛ القاهرة ١٩٦٩ .

العلي؛ صالح احمد العلي :

٢٧ ـ امتداد العرب في صدر الاسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي ؛بغداد ١٩٨١

فوزي، فاروق عمر فوزي.

٢٨ ـ النظم الاسلامية، العين؛ ١٩٨٣

فيصل، شكري فيصل.

٢٩ ـ المجتمعات الأسلامية في القرن الأول، دار العلم للملايين، بيروت ؛ ١٩٧٨

القاسمي، ظافر القاسمي.

٣٠ ـ نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي، دار النفائس ،بيروت ، ١٩٨٢.

الكرملي، انستانس ماري الكرملي .

٣١ ـ كتاب النقود وعلم النميات، ومنشور معه لمحة عن تاريخ النقود ،القاهرة ١٩٣٩.

كمال، احمد عادل كمال

٣٢ ـ الطريق الى دمشق، دار النفائس ،بيروت ، ١٩٨٢ :

محمد ،عبد الرحمن فهمي محمد

٣٣ ـ النقود العربية ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٦٤ :

• • •

آرنولد ،سيرتوماس ارنولد

٣٤ ـ الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن واخرون، القاهرة، ١٩٧١

ترتون، ارثر ستانلي ترتون

٣٥ ــ اهل الذمة في الاسلام ؛ترجمة وتعليق: حسن حبشي؛ القاهرة. ١٩٦٧.
كاهن، كلود كاهن.
٣٦ ــ تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ؛ترجمة: بدر الدين القاسم ،بيروت١٩٧٢
فلوتن، فان فلوتن
٣٧ ــ السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني امية، ترجمة: حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم : القاهرة، ١٩٦٥ .
هنتس ،فالتر هنتس
٣٨ ــ المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري. ترجمة كامل العسلي منشورات الجامعة الاردنية: عمان، ١٩٧٠ .

• • •

* Lewis, B. (
39— The Arabs in History , London, L975.
* Shaban , M.A.
40— Islamic History, vol.I cambridge, 1971 .
* Walker, J .
41— A Catalogue of the Arab— Byzantine and post Reform Umaiyad coins, London , 1956.
البطانية، محمد ضيف الله البطانية.
٤٤ ــ العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق. مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٢، طبع في لندن؛ ١٩٨٢
الحمارنة، صالح الحمارنة.
٤٥ ــ دور الانباط في الفتوح الاسلامية، مجلة دراسات ،العلوم الانسانية،م ٧ العدد ١ ؛ عمان ؛١٩٨٠
خريسات، محمد عبد القادر خريسات.
٤٦ ــ عمر بن الخطاب والولاة؛ مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٥ ،بغداد ؛١٩٨٤
العلي، صالح احمد العلي
٤٧ ــ موظفو بلاد الشام في العهد الاموي، مجلة الابحاث، السنة ١٩، العدد ١ بيروت ، ١٩٦٦ .

• • • •